دور التّنظيمات الدّينيّة في تأطير البُنى الاجتماعيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر من خلال الأنثروبولوجيا الكولونياليّة

- خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين -

بقلم: د. نور الدين كوسة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف2

الملخّص:

يأتي هذا المقال لمُساءلة إشكاليّة دور التّنظيمات الدّينيّة –من زوايا وطرق صوفيّة- في تأطير البُنى الاجتماعيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر من منظور البحوث الأنثروبولوجيّة الكولونياليّة التي كُتبت في هذا الشّأن، خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبرغم تميّز اغلب هذه البحوث الأنثروبولوجيّة حول التّنظيمات الدّينيّة بالجزائر خلال هذه المرحلة بطابعها الإثنوغرافي، وكذا وقوعها تحت تأثير الخلفيّة الإيديولوجيّة، بحكم انتماءات مُؤلّفيها للمؤسّسة العسكريّة بصفة مباشرة وغير مباشرة، فإنّ هذه البحوث والدّراسات سدّت هامشا مهمّا من الفراغ الذي يكتنف المعلومات المتعلّقة بالتّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر خلال هذه المرحلة، كما أفضت -هذه البحوث والدّراسات- إلى رصد ملامح تلك السّلطة الرّمزيّة الفاعلة التي تضطلع بها تلك التّنظيمات الدّينيّة على مستوى الفضاء السّوسيو-ثقافي للمناطق الجبليّة بالجزائر، وكذا الوقوف على تلك العلاقات المتشابكة التي يتقاطع فيها الدّيني بالثّقافي والاجتماعي بالسّياسي، وهو ما يفتح لنا كباحثين معاصرين شهيّة الخوض في مثل هذه الموضوعات ذات الصّلة بإشكاليّة حضور التّنظيمات الدّينيّة ضمن الفضاءات الجبليّة من زاوية نقديّة، ويُتيح لنا من جانب آخر مُلامسة بعض المحاور والجوانب التي تبدو مُغيّبة.

الكلمات المفتاحيّة: التّنظيمات الدّينيّة؛ المناطق الجبليّة؛ الأنثروبولوجيا الكولونياليّة؛ الفضاء السّوسيو-ثقافي؛ الطّابع الإثنوغرافي.

Résumé:

La présente étude a pour objet l’examen du rôle que joue les organismes religieux dans l'encadrement des structures sociales dans les régions montagneuses en Algérie du point de vue des études anthropologiques colonialistes qui ont été réalisées au cours de la seconde moitié du XIXe siècle et au début du XXe siècle, et malgré leurs caractères ethnographiques et leurs teintures idéologiques qui reflètent l’affiliation militaire de ses

auteurs, ces études ont largement contribuer a enrichir la connaissance sur le thème susmentionné durant cette période, aussi elles ont pu schématiser le pouvoir symbolique influent de ses organismes religieux sur l'ensemble de l'espace socioculturel des régions montagneuses algérienne et surtout d'établir les relations complexes dans lesquelles se croisent le religieux avec le culturel, le social et le politique, ouvrant par la même, a nous chercheurs et académiciens, la possibilité de l'étude critique des thèmes qui portent sur l'influence qu'exercent ses organismes religieux dans les espaces montagneuses, et permettant aussi a nous d'explorer certains de ses aspects les plus sombres.

Mots clés: Organismes religieux; Régions montagneuses; Anthropologie colonialiste; l'espace socioculturel; Caractères ethnographiques.

مقدّمة:

إنّ الهدف المُتوخّى من هذا المقال يندرج ضمن سياق محاولتنا الوقوف على إسهامات التّنظيمات الدّينيّة –من زوايا وطرق صوفيّة-، في تأطير الحياة الاجتماعيّة بالمناطق الجبليّة بالجهة الشّماليّة للجزائر، برصد تجلّيات وأوجه هذه الإسهامات، من خلال قراءة نقديّة تنطلق من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الكولونياليّة، بما انطوت عليه هذه الأخيرة من مادّة خبريّة غزيرة ذات صلة بهذا الموضوع، وذلك من خلال استعراض مجموعة من العناصر التي تنسجم والمسعى المُراد من هذا المقال، آخذين بعين الاعتبار التّركيز على الفضاء المكاني المدروس؛ أي المناطق الجبليّة بالجزائر، لما تميّزت به خلال المرحلة المدروسة من حضور واستقطاب سكّاني لافت للانتباه، بمناقشة خلفيّات هذه الميزة المُشار إليها.

ثمّ نعرّج بعد ذلك على مسألة جوهريّة تمثّل لب الموضوع، وهي التّنظيمات الدّينيّة من منظور الأنثروبولوجيا الكولونياليّة، بالتّركيز على ماهيتها وكذا حضورها كفاعلٍ أساسيٍّ في تأطير البُنى الاجتماعيّة، وننتهي إلى إثارة خلفيّات اهتمام الأنثروبولوجيا الكولونياليّة بالتّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر، وسينصب العنصر الأخير من هذا المقال على استعراض لأهمّ الأدوار التي قامت بها تلك التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة، ونُنهي مقالنا بخاتمة تتضمّن حوصلة لما أمكن لنا الوقوف عليه من نتائج.

1- قراءة في توجُّه وخصوصيّات الأنثروبولوجيا الكولونياليّة الفرنسيّة:

إنّ البحث في موضوع الدّراسات الأنثروبولوجيّة الكولونياليّة؛ من حيث إسهاماتها في خدمة التوجُّه الاستعماري الفرنسي في الجزائر، يقودنا إلى إثارة مسألة جوهريّة في هذا الشّأن، تتعلّق بمعرفة التوجّه العام الذي طبع تلك الدّراسات، من خلال رصد خصوصيّاتها ومميّزاتها؛ وفق ما أفضت إليه القراءات والرّؤى التي انصبّت على فهم وتشريح تلك الدّراسات الأنثروبولوجيّة الكولونياليّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وهو ما يكشف أنّ تلك الدّراسات الكولونياليّة قد غلب عليها الملمح الإثنوغرافي، على اعتبار أنّها تميّزت بطابعها الوصفي التّجميعي للمعطيات الاجتماعيّة والثّقافيّة؛ من خلال الاحتكاك المباشر بالمجتمعات المدروسة، وذلك لأنّ الغاية الأساسيّة من تلك الدّراسات كان منصبّا على مُراكمة وتجميع المعلومات عن المجتمع الجزائري في كلِّ المجالات دون تمحيص أو تحليل، كون الهدف المتوخّى منها هو معرفة خصوصيّات المجتمع الجزائري قصد السّيطرة عليه، سعيا لتسهيل عمليّة الاحتلال، من خلال معرفة نقاط الضّعف، وليس البحث العلمي البريء أو معرفة المجتمع كفضول.

كما أنّ من ضمن أهم خصوصيّات تلك الدّراسات الأنثروبولوجيّة الكولونياليّة حول المجتمع الجزائري خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، والتي تزامنت والمراحل الأولى من الاحتلال، أنّ معظمها أُنجز من قبل ضبّاط عسكريّين أو موظّفين تابعين للمؤسّسة العسكريّة، وبالتّالي فإنّ كتاباتهم قد هيمنت عليها ذهنيّة العسكري وليس المثقّف، حيث كانوا بفعل انتمائهم إلى المؤسّسة العسكريّة، غير متخصّصين في الدّراسات الاجتماعيّة بشكل عام والأنثروبولوجيا على وجه الخصوص، ولم تظهر الكتابات والدّراسات المتخصّصة في هذا الشّأن إلاّ في مرحلة لاحقة.

2- المناطق الجبليّة بالجزائر كفضاء مكاني آهل بالسكّان:

إنّ تصفّح المعلومات التّاريخيّة والجغرافيّة ذات الصّلة بتوزيع السكّان في الجزائر من خلال علاقتها بالفضاءات المكانيّة إلى غاية بداية القرن التّاسع عشر، تجعلنا نقف على جملة من المعطيات التي تكشف لنا عن التّباين الشّديد في الكثافة السكّانيّة بين المناطق الشّماليّة للجزائر والمناطق الجنوبيّة منها، وبين المناطق الرّيفيّة والمراكز الحضريّة، وكذا بين المناطق الجبليّة والسّهليّة، حيث

لم تتجاوز نسبة ساكني المراكز الحضريّة نسبة 5% من مجموع سكّان الجزائر ككل مع مطلع القرن التّاسع عشر[1]، حيث وصف المؤرّخ الفرنسي-**أجيرون AGERON**- سكّان المدن خلال هذه المرحلة التي ذكرناها آنفا بـ"قليلي العدد"[2].

كما تُحيلنا هذه المعلومات من جهة أخرى إلى إدراك أنّ المناطق الجبليّة خاصّة في شمال الجزائر، كانت آهلة بالسكّان بشكل فاق بقيّة المناطق الأخرى بفعل جملة من العوامل التّاريخيّة، حيث تأتي في طليعة تلك العوامل الظّروف المُصاحبة لموجات الاحتلال الأجنبي التي تعاقبت على المنطقة، منذ عهد الرّومان إلى غاية قدوم الفرنسيّين كآخرِ محتلٍّ للمنطقة، من خلال "سيطرة الغزاة المتعاقبين على السّهول والأحواض الخصبة وفرار السكّان الأصليين إلى الجبال"[3]، حيث مثّلت المناطق الجبليّة عبر تلك الأزمنة التي واكبت قدوم المحتلّين الملاذ الآمن لهؤلاء السكّان المحلّيين، كما أُعتبرت تلك المناطق بمثابة الفضاء المثالي الذي يضمن لهم الاستقرار وممارسة الأنشطة الحياتيّة بشكلٍ مستقلٍّ، بفعل خصوصيّة وطبيعة تلك المناطق الجبليّة المتميّزة بحصانتها وصعوبة تضاريسها[4].

3- التّنظيمات الدّينيّة من منظورالأنثروبولوجيا الكولونياليّة:

إنّ البحث في التّراث الأنثروبولوجي الكولونيالي-الفرنسي- خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، والذي كان محوره المجتمع الجزائري في شتّى الموضوعات، من خلال الانكباب بالبحث والتّنقيب فيما يتّصل بالخصوصيّات الثّقافيّة والاجتماعيّة لهذا المجتمع، يقودنا إلى إدراك أنّ هامشا مهمّا من هذا التّراث الأنثروبولوجي الكولونيالي قد انصبّ على دراسة

[1]- أجيرون شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر،1989، ص11-12.

[2]- المرجع نفسه، ص12.

[3]- خنّوف علي، **السّلطة في الأرياف الشّماليّة لبايلك الشّرق الجزائري– نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي**-، الميزان للنّشر والطّباعة، الجزائر، 1999، ص13.

[4]- Cote Marc, ***Guide d'Algérie –paysage et patrimoine-***, Editions Media plus, Alger, 1996, P 90-137.

التّنظيمات الدّينيّة من زوايا وطرق صوفيّة، وهذا عبر كامل ربوع الجزائر بشكل عام؛ والمناطق الجبليّة بالجهة الشماليّة للجزائر على وجه الخصوص.

3-1- ماهيّة التّنظيمات الدّينيّة:

إنّ المقصود بالتّنظيمات الدّينيّة هي تلك المؤسّسات المحلّية المستقلّة ذات الصّفة المعنويّة ممثّلة في الزّوايا والطُّرق الصّوفيّة، وما تفرّع عنهما من تنظيمات كالمساجد والمدارس القرآنيّة، بما تنطوي عليه هذه التّنظيمات الدّينيّة من سلطة رمزيّة فاعلة في مجريات الأحداث اليوميّة في مختلف تجلّياتها، لسكّان الفضاءات المكانيّة الخاصّة بالمناطق الجبليّة، والتي تعكس التّفاعلات المرتبطة بالواقع السّياسي والحراك السّوسيو-ثقافي ضمن سياق صلته بالأحداث التّاريخيّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين.

3-2- النّزعة الاستقلاليّة للمناطق الجبليّة وإشكاليّة حضور التّنظيمات الدّينيّة كفاعل أساسي في تأطير البُنى الاجتماعيّة:

لقد سجّلت الأنثروبولوجيا الكولونياليّة ممارسة التّنظيمات الدّينيّة لأدوار محوريّة فاعلة في المناطق الجبليّة بالجهة الشّماليّة للجزائر، وهي ليست وليدة الفترة التي تزامنت وقدوم الفرنسيّين إلى الجزائر، المرتبطة ببداية الاحتلال سنة 1830، بل إنّ هذا الأمر قد اقترن بسياقات زمنيّة إنبنت أرضيّتها على أحداث تاريخيّة سابقة[1]، هذه الأخيرة التي جعلت هذه المناطق تتّسم باستقلاليّتها الفعليّة، مع ارتباطها الرّمزي بالسُّلط المتعاقبة المُتّسم بالتّذبذب، والذي يتراوح بين الضّمور والتّوهّج، المبني على تحالفات ومصالح متشابكة يتقاطع فيها الدّيني بالسّياسي والاقتصادي بالاجتماعي.

والجدير بالإشارة أنّ تلك المناطق قد تميّزت بنزعتها الاستقلاليّة بشكل لافت، وبوجه خاص منذ أواخر العهد العثماني، وكان ذلك في ظلِّ غياب سلطة مركزيّة قويّة تُمارس وصايتها السّياسيّة الفعليّة، وتعمل على تأطير نسق الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة لسكّان تلك المناطق الجبليّة، بفعل

[1]- حول خلفيّات النّزعة الاستقلاليّة للمناطق الجبليّة بالجهة الشّماليّة للجزائر؛ أنظر العنصر رقم (02) من هذا المقال، والذي جاء بعنوان: "المناطق الجبليّة بالجزائر كفضاء مكاني آهل بالسكّان".

الانتفاضات وردود الفعل الرّافضة من السكّان المحلّيين لسيادة الأتراك؛ خاصّة مع بداية القرن التّاسع عشر الميلادي، وهو ما يمثّل المرحلة الأخيرة من الوجود العثماني بالجزائر، من خلال مقاومة ما سُمّي بـ"مظاهر التّخضيع"[1] المُمارسة من طرف الأتراك، وقد بدأ هذا التوجّه الاستقلالي يأخذ منحاه التّصاعدي بقدوم الفرنسيّين[2]، سنة 1830 إلى غاية تمكّنهم من إخضاع تلك المناطق بالقوّة أواخر القرن التّاسع عشر.

4- خلفيّات اهتمام الأنثروبولوجيا الكولونياليّة بالتّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر:

تكشف الدّراسات ذات الصّلة بهذا الشّأن؛ أنّ خلفيّات اهتمام الباحثين الفرنسيّين بالتّنظيمات الدّينيّة-سالفة الذّكر-، قد جاءت كاستجابة مباشرة للأوضاع التي أعقبت عمليّة الاحتلال، ولذا فإنّ تسجيل الأنثروبولوجيا الكولونياليّة للنّزعة الاستقلاليّة اللّصيقة بالتّركيبة الاجتماعيّة للمناطق الجبليّة بالجزائر، من خلال تمظهرها ضمن طابع فسيفسائي عبر التّشكيل القبلي، وتمكُّن التّنظيمات الدّينيّة من سدّ هامشٍ مهمٍّ من الفراغ النّاتج عن غياب سلطة مركزيّة، لم يكن بغرض شرح هذا الواقع ومحاولة سرد حيثيّاته ضمن مسعى التّأريخ له، بل إنّ الأمر مرتبط بحسابات إستراتيجيّة ذات صلة برهانات السّيطرة على هذا الفضاء الجبليّ ومحاولة إخضاعه.

حيث شكّلت تلك التّنظيمات الدّينيّة بما تحوزه من سلطة رمزيّة حجر عثرة أمام هذه الرّهانات، خاصّة إثر سقوط النّظام الإمبراطوري ومجيء الحكومة المدنيّة[3]، هذه الأخيرة التي سعت إلى فرض تصوّرات جديدة للوجود الفرنسي، والتي تقوم على تفكيك كلّ ما يمت بصلة للمؤسّسات

---

[1]- عشراتي سليمان، **الشّخصيّة الجزائريّة-الأرضيّة التّاريخيّة والمحدّدات الحضاريّة-**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 2002، ص 180.

[2]- لقد سجّلت الإثنوغرافيا الكولونياليّة هذه النّزعة الاستقلاليّة التي لامست أغلب المناطق الجبليّة بالجهة الشّماليّة للجزائر، من خلال غياب إدارة مركزيّة فاعلة تعمل على بسط نفوذها الفعلي على هذه المناطق، للمزيد من التّوسّع في هذه المسألة أنظر:

*-Daumas Eugène, **Mœurs et coutumes de l'algérie**, introduction d'Abdelkader Djeghloul, Editions, Anep, Alger, 2006, p135.*

[3]- أجيرون شارل روبير، المرجع السّابق، صص 72-79.

والهياكل التّنظيميّة التّقليديّة للجزائريّين، من خلال محاولة احتوائها وإبدالها بالهياكل الإداريّة التّنظيميّة الفرنسيّة الجديدة، بما يضمن توحيد الإدارة وتكريس سياسة الدّمج النّهائي للجزائر، وضمن هذا السّياق فقد بدأت الدّراسات والبحوث الإثنوغرافيّة التي تُعنى بتلك التّنظيمات الدّينيّة في الجزائر تأخذ المنحى التّصاعدي بشكل لافت للانتباه، حيث كان للضبّاط العسكريّين السّبق في تناول هذا الموضوع[1].

5- استعراض لأهم الأدوار التي قامت بها التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة:

لقد أدّت التّنظيمات الدّينيّة أدوارا مهمّة في الحياة الاجتماعيّة لسكّان المناطق الجبليّة لامست أغلب مناحي الحياة، بما يضاهي الأدوار المنوطة بالسّلطة المركزيّة، لأنّ الطّبيعة تأبى الفراغ، حيث كان من الضّروري أن تضطلع تلك التّنظيمات الدّينيّة للقيام بهذه الأدوار، الأمر الذي جعلها بمثابة البديل المنطقي للسّلطة السّياسيّة الفعليّة، من خلال قيام هذه التّنظيمات الدّينيّة بجملة من الأدوار شملت الجانبين التّشريعي والتّنفيذي في آن واحد، ويمكن رصد أوجه هذه الأدوار في النّقاط الآتية:

5-1- تنظيم الأسواق والأماكن العامّة:

لقد شكّلت الأسواق والأماكن العامّة الفضاء المثالي لتلك التّنظيمات الدّينيّة لممارسة نفوذها، من خلال تواجد الأفراد المنتمين إلى هذه التّنظيمات مُمثّلين في رجال الدّين من فئة المرابطين باستمرار في الأسواق، فهم "المسؤولون عن الأسواق"[2]، من خلال تولّي عمليّة الإفتاء للنّاس في القضايا ذات الصّلة بالبيوع ومختلف المعاملات اليوميّة.

5-2- فض النّزاعات والخلافات بين والأفراد الجماعات:

كما عملت تلك التّنظيمات الدّينيّة المُشار إليها على تماسك البُنى الاجتماعيّة في مواجهة تحدّيات تلك المرحلة العصيبة، باعتبارها قاعدة ارتكاز محوريّة في وأد الصّراعات القبليّة، بحكم

[1]-Bertaut Jules, «**Comment l'armée découvrit les arabes et leurs pittoresques coutumes** », in Revue *Manière de voir*, éditions le Monde Diplomatique, Paris, N°86, Avril-mai, 2006, p 47- 49.

[2]- Daumas Eugene, op.cit, p141.

تميّز المجتمع الجزائري بتركيبته القبليّة، وكذا من خلال القيام بفضِّ النّزاعات والخلافات النّاشئة بين الأفراد، لما يتمتّع به رجال الدّين من تأثير ومن سمعة رمزيّة[1].

5-3- الإشراف على حملات التّضامن مع الفئات المحتاجة:

أشارت الكتابات الإثنوغرافيّة الكولونياليّة إلى قيام التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة بممارسة حملات تضامنيّة لصالح الفئات المحتاجة بشكل مستديم، على اعتبار أنّ تلك التّنظيمات ممثّلة في الزّوايا والمساجد تتكفّل بجمع ما سمّته تلك الكتابات بالضّرائب الإسلاميّة، والمشتملة بوجهٍ خاصٍّ الزّكاة والعشور، كما تتكفّل بجمع بعض الهبات والصّدقات، وتقوم في الآن نفسه بتوزيعها على فئات الفقراء والمحتاجين، وتذهب تلك الكتابات إلى الإقرار أنّه بفضل تلك الأعمال الخيريّة استطاعت تلك التّنظيمات الحد من الجوع والتّشرّد بتلك المناطق[2].

5-4- التّنظيمات الدّينيّة باعتبارها حاملة للواء المقاومة:

لقد مثّلت تلك التّنظيمات الدّينيّة وفق المنظور الكولونيالي قاعدة ارتكاز محوريّة في تغذية المقاومة، حيث أشارت الكتابات الإثنوغرافيّة الأولى التي انكبّت على تشريح العوامل التي تقف وراء ظهور الانتفاضات المسلّحة بين الحين والآخر، إلى وجود علاقة لتلك التّنظيمات الدّينيّة بهذه الانتفاضات "... ففي الظّروف الرّاهنة، حيث تظهر من حين لآخر حركات تمرّد ومقاومات جريئة فالأجدر بنا أن نبحث عن العلاقة التي تربط بين قيّادات هذه الحركات الانتفاضيّة والجماعات الدّينيّة... "[3].

حيث ارتأت الدّراسات الكولونياليّة في هذا الشّأن "أنّ إثارة الانتباه حول هذه التّنظيمات الدّينيّة في الجزائر التي يلتف حولها السكّان، ترمي إلى توخّي الحذر من هذه الجمعيّات، لأنّ كل جمعيّة تشكّل قوّة، وهي بمثابة سلاح قوي لكل من يريد الاستعانة بها في انجاز مشاريعه"[4]، ومن هنا

---

[1]- Daumas Eugene, op.cit, p140.

[2] -Ibid, p147.

[3]- لوكا فيليب و فاتان جان كلود، **جزائر الأنثروبولوجيين**، ترجمة محمد يحياتن وآخرون، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2002، ص108.

[4]- لوكا فيليب و فاتان جان كلود، المرجع السّابق، ص 109.

فقد تبيّن للسُّلطات الإستعماريّة ضرورة تشجيع أبحاث جادّة؛ تُعنى بفهم سبُل وأد تلك الانتفاضات المتكرّرة، من خلال السّعي إلى تحييد تلك التّنظيمات الدّينيّة عبر اقتراح جملة من التّدابير التي يمكن في ضوئها تحقيق هذا المسعى.

وقد كانت من ضمن هذه المقترحات؛ إمّا عن طريق التّخابُر عليها، بغرض التّصدّي المُسبق لحركات التمرّد والانتفاضات في بدايتها قبل استفحالها، أو عن طريق مواجهة هذه التّنظيمات الدّينيّة بشكل مباشر والعمل على تفكيكها بضرب سمعتها الرّمزيّة، من خلال إشاعة تصوّرات سلبيّة عنها لدى عامّة النّاس، والتّشكيك فيها بهدف المساس بمصداقيّتها، الأمر الذي يؤدّي إلى إفقادها القدرة على التّجييش والتّعبئة.

خاتمة:

في نهاية هذا المقال الذي جاء بعنوان "دور التّنظيمات الدّينيّة في تأطير البُنى الاجتماعيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر من خلال الأنثروبولوجيا الكولونياليّة"،-خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين-، يمكن أن نخلُص إلى مجموعة من الاستنتاجات نرى إمكانيّة إدراجها في شكل نقاط على النّحو الآتي:

- إنّ موضوع التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة لا زال بحاجة إلى دراسات جادّة ومستفيضة؛ تبحث في بعض الزّوايا المُغيّبة بفعل التّهميش الذي طال هذا الفضاء المكاني ضمن الدّراسات الأكاديميّة المعاصرة، إذ ليس من المنطقي ادّعاء الإلمام بحيثيّات موضوع هام يتعلّق بالتّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين ضمن مقال علمي محدود الصّفحات.

- إنّ القول بكون الدّراسات الأنثروبولوجيّة قد وُظِّفت لخدمة أهداف استعماريّة لا يعني بأي حال من الأحوال نفي الأهداف البريئة لهذه الدّراسات، غير أنّ تزامن ظهورها-أي الأنثروبولوجيا- كتخصّص علميٍّ في النّصف الثّاني من القرن التاسع عشر مع الموجة الاستعماريّة التي اجتاحت مناطق واسعة من العالم، إلى جانب طبيعة تلك الدّراسات الأنثروبولوجيّة في حدّ ذاتها، جعلها تتقاطع والأهداف الاستعماريّة، وأضحت بذلك تُوصف على أنّها من العلوم الاستعماريّة بامتياز.

- إنّ أغلب الدّراسات الأنثروبولوجيّة الفرنسيّة حول التّنظيمات الدّينيّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، لم تُنجز من قبل مُتخصّصين في الأنثروبولوجيا، بل تمّ إنجازها من قبل ضبّاط عسكريّين وبعض الإداريّين المنتمين إلى المؤسّسة العسكريّة، ولذا فقد غلب عليها الطّابع الإثنوغرافي-الوصفي- بشكل واضح.

- برغم التّداعيات السّلبيّة لتلك الدّراسات الأنثروبولوجيّة الاستعماريّة حول التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة بالجزائر، فإنّها أسهمت بقسط لا يُستهان به في حفظ معطيات ومعلومات مهمّة تتعلّق بالموروث الثّقافي والاجتماعي للمجتمع الجزائري، حيث سدّت تلك الدّراسات هامشا مهمّا من الفراغ الذي يكتنف المعلومات المتعلّقة بالتّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة خلال هذه المرحلة.

- لقد اضطلعت التّنظيمات الدّينيّة في المناطق الجبليّة خلال النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، بأدوار محوريّة على مستوى الفضاء السّوسيو-ثقافي لتلك المناطق، هذه الأدوار التي تقاطع فيها الدّيني بالثّقافي والاجتماعي بالسّياسي بفعل غياب سلطة مركزيّة قويّة خلال هذه المرحلة.

*** قائمة المراجع:**

1-المراجع باللّغة العربيّة:

1-أجيرون شارل روبير، **تاريخ الجزائر المعاصرة**، ترجمة عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1989.

2-لوكا فيليب و فاتان جان كلود، **جزائر الأنثروبولوجيين**، ترجمة محمد يحياتن وآخرون، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 2002.

3-خنّوف علي، **السّلطة في الأرياف الشّماليّة لبايلك الشّرق الجزائري– نهاية العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي-**، الميزان للنّشر والطّباعة، الجزائر، .1999

4-عشراتي سليمان، **الشخصيّة الجزائريّة- الأرضيّة التّاريخيّة والمحدّدات الحضاريّة-**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، .2002

2-المراجع باللّغة الفرنسيّة:

1- Bertaut Jules, «**comment l'armée découvrit les arabes et leurs pittoresques coutumes**», in Revue *Manière de voir*, éditions le Monde Diplomatique, Paris, N°86, Avril-mai, 2006.

2- Daumas Eugène, ***Mœurs et coutumes de l'algérie***, introduction d'Abdelkader Djeghloul, Editions, Anep, Alger, 2006.

3- Cote Marc, ***Guide d'Algérie –paysage et patrimoine-***, Editions Media plus, Alger, 1996.